أثر الإيمان في درء العنف...

قراءة في رسائل النور

د. أحمد محمد سالم(*)

-1-

يتعرض الإسلام في المشهد الحضاري الحالي للعديد من الاتهامات، ولعل أبرزها أنه دين يحض على العنف والإرهاب، وهذا ما دعا هنتنجتون إلى القول " بأن الميل الإسلامي إلى القتال والعنف من حقائق أواخر القرن العشرين التي لا يستطيع أن ينكرها المسلمون أو غير المسلمين"(١) ويذهب كذلك إلى أن هناك قطاعاً من الغربيين "ينظرون إلى الإسلام على أنه مصدر للإرهاب، والانتشار النووي، وإلي المسلمين كمهاجرين غير مرغوب فيهم في أوروبا"(٢) وقد استطاعت وسائل الإعلام الغربية الترويج لهذه الصورة عن الإسلام، والسخرية من رموزه ومعتقداته.

ولا شك أن الاتهامات الحالية للإسلام والمسلمين هي امتداد واضح لما رسخه الاستشراق التقليدي - في الفترة الإمبريالية - في عقول الغربيين من صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين، مثل اتهامات إرنست رينان للإسلام بأنه دين ضد العلم والحرية، وكان يقول "أنه عندما حاز الإسلام على فئات شديدة خنق كل شيء، وأصبح الإرهاب الديني والرياء هما سيدا الموقف، وكان الإسلام ليبرالياً عندما كان ضعيفاً، وعنيفاً عندما كان قوياً"(٣).

(*) جامعة طنطا - كلية الآداب- جمهورية مصر العربية. a_m_salem2003@yahoo.com

(١) صمويل هنتنجتون، صراع الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوة، دار سطور ط٢ ١٩٩٨، ص ٤٢٠

(٢) المرجع نفسه ص ٣٤٨

(٣) إرنست رينان (الإسلام والعلم)، مناظرة رينان والأفغاني، ترجمة مجدي عبد الحافظ، المجلس الأعلى للثقافة رقم٨٢١/٢٠٠٥ ص٤٥

إن الغرب إذ يوجه الاتهامات للإسلام والمسلمين بالعنف فإنه يتناسي أن العنف هو جزء أصيل من تاريخ الغرب، وأن أطول حروب بين المسلمين والمسيحيين الغربيين، وهي الحروب الصليبية قد صنعها الغرب نفسه، وأن فترة الاستعمار الحديث للعالم الإسلامي كانت من خلق يديه، وأن حركات العنف المعاصرة في العالم الإسلامي من صناعته هو، لما يتسم به النظام العالمي المعاصر من ظلم، وغياب العدالة، وإذا كان الغرب يتهم الإسلام بأنه دين يحض على العنف، فإن السؤال المهم: هل يمكن أن ننسب العنف الذي حدث في الحروب الصليبية إلى المسيحية؟ وهل المسيحية كديانة - في ذاتها - تدعو إلى المحبة والتسامح والأخوة كان لها دور في هذه الحروب، أم أن رجال الدين في أوروبا هم الذين قدموا تفسيرات لتبرير هذه الحروب؟

إن رسالة الأديان السماوية هي - بالأساس- الدعوة إلى القيم الأخلاقية القائمة على المحبة والتسامح والأخوة والعدل، ولكن بعض رجال الدين يستغلون قدرة العقيدة الدينية على حشد الناس وتجييشهم لخدمة أغراضهم ومطامعهم، وتحريك جمهور كبير من العوام تجاه قضايا بعينها بناء على تفسيراتهم الشخصية للدين.

ومن ثم فإن الأديان كأديان في ذاتها بريئة من كل دعاوي العنف والإرهاب، والإسلام ضمن هذه الأديان، ولكن الأمر يخضع لطبيعة العلاقة بين محاور ثلاثة، **أولها**: الدين الإسلامي في إطاره النظري – الكتاب والسنة – والذي يقر مبادئ التسامح والعدل والإخاء، وكل القيم الإيجابية، **وثانيها** : الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لمجموع الأمة التي تدين بهذا الدين، وهذا مانسميه بالواقع التاريخي بالمجمل العام، وبين هذا وذاك يقع دور القطب **الثالث** : وهو دور العلماء والفقهاء ورجال الدين، والذين يقدمون قراءات للإسلام النظري تراعي حركة الواقع التاريخي، وهذه القراءات توجه مسار الإسلام في الواقع العملي إما سلباً أو إيجاباً، تسامحاً أو عنفاً، والأمر لا ينسب إلى الإسلام كدين في ذاته، ولكن ينسب إلى تفسيرات العلماء والفقهاء، وقد تفرض ضغوط الواقع التاريخي نفسها على قراءة هؤلاء العلماء والفقهاء وتفسيراتهم للإسلام، وبالتالي فإن قراءة الفقهاء والعلماء للإسلام ترتبط بعلاقة شرطية مع الظروف التاريخية لزمانهم، فعلي سبيل المثال يمكن أن نحلل وجود بعض حركات العنف المعاصرة، والموسومة بالإسلامية إلى اجتهاد بعض علماء وفقهاء هذه الحركات في إطار ظروف تعرض المسلمين للقهر من قبل أنظمة حكم مستبدة في الداخل، ونظام

عالمي يقوم على نهب ثروات الشعوب الفقيرة من الخارج، ولهذا فإن ظروف الواقع الاجتماعى والسياسى تؤثر سلباً أو ايجاباً على اجتهادات العلماء والفقهاء.

ومن جانب آخر فإن قدرة العلماء والفقهاء على تقديم قراءة مستنيرة للإسلام تراعي طبيعة العلاقة مع الآخر، وتنظر إلى الإسلام على أنه دين يحمل منظومة قيم عليا من: عدالة، ومساواة، وإخاء، وتسامح، وعقلانية... الخ، مثل هذه القراءات موجودة في العالم الإسلامي، وتظهر بصورة جلية في الدول التي حققت قدراً من التقدم والرقي مثل ماليزيا وإندونيسيا وتركيا.

ومن ثم فإن الأزمة والحل يكمنان في حلقة الوصل بين الإسلام النظري – كما جاء في الكتاب والسنة – وحركة الواقع التاريخي وهم العلماء والفقهاء، والذين يقع على عاتقهم تقديم قراءة مستنيرة، وخطاب ديني إسلامي يتسم بالتسامح والتقدم، ويراعي حركة التاريخ، ويكشف عن الوجه الحضاري التقدمي للإسلام، ذلك الوجه الذى ساد في عصور التقدم والازدهار الحضاري للإسلام.

وإذا كان هناك بعض العلماء الذين قدموا قراءة للإسلام أسهمت في نمو حركات التطرف الديني في الفترة المعاصرة، فإن هناك العديد من العلماء الذين أسهموا في تقديم قراءة للإسلام تكشف عن دور الإيمان في حياة الشعوب الإسلامية، وكيف يمكن أن يكون الإيمان باعثاً على درء العنف، وكيف يكون الإيمان محركاً للتقدم والنهضة والانسجام بين البشر.

وفي إطار ما سبق فقد اخترت أن أبحث موضوع (أثر الإيمان في درء العنف... قراءة في رسائل النور) وذلك للكشف عن قراءة بديع الزمان سعيد النورسى لمبادئ الإسلام بما يمكن أن يسهم في درء العنف، وأن يرسخ مبادئ الأخوة والمحبة والتسامح بين البشر.

وفي البداية نؤكد أن الإيمان فى الإسلام يعني رسوخ الاعتقاد بأصول معينة وهى "الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقضاء والقدر خيره وشره" [(١)]، والإيمان بهذه الأصول يحث دوماً على تدعيم قيم الأخوة والمحبة والتسامح والأمل،

(١) أبو حنيفة النعمان، رسالة الفقه الأبسط، تحقيق محمد زاهد الكوثرى، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة ،بدون ص٣٢

وبالمقابل فإن العنف يعني كل تصرف يؤدي إلى إلحاق الأذى بالآخرين، وقد يكون الأذى جسدياً أو نفسياً، وقد يعني العنف كذلك كل فعل يمارس عن طريق جماعة أو فرد ضد أفراد آخرين عن طريق التعنيف قولاً أو فعلاً، وهو فعل عنيف يجسد القوة المادية والمعنوية، ومن ثم "يعد العنف انتهاكاً للشخصية، بمعني أنه تعد على الآخر أو إنكاره أو تجاهله مادياً أو غير ذلك، فأي سلوك شخصي أومؤسساتي يتسم بطابع تدميري مادي واضح ضد آخر يعد عملا عنيفا، هذا العنف الشخصي الخفي الذي يؤذي الآخر نفسياً، وهناك العنف المؤسساتي الخفي حيث تنتهك البني الاجتماعية هوية مجموعة من الأشخاص كما يحصل في مستويات الحياة المتدنية في الأحياء المغلقة" [(١)]، وللعنف أسباب كثيرة مثل الظلم، وغياب العدالة واليأس، وفقدان الأمل، وسيادة روح العداء بين البشر، وانعدام التسامح بين أصحاب المعتقدات، والصراعات المذهبية والعرقية بين البشر...الخ.

والأسئلة التي تتبادر للذهن ويحاول البحث أن يجيب عنها هي: كيف يسهم الإيمان في درء العنف؟ وما الصورة التي قدمتها رسائل النور لمسألة الإيمان؟ وما علاقة هذه الصورة بإمكانية درء العنف بين البشر؟ تقدم رسائل النور إجابة على هذه الأسئلة نجملها في النقاط الآتية.

- 2 -

أولا: الإيمان في مسارات مختلفة :-

١- **الإيمان والأمن** :- إن ظهور الرسالات السماوية في الشرق لدليل واضح على أن الشرق لا ينهض ولا يرتقي إلا بالدين، وكان الإمام النورسى يرى أن الإيمان الديني هو أساس حياة المسلم، ولهذا فقد وضع على عاتقه مهمة إنقاذ الإيمان، لأن أعظم خطر يهدد المسلمين هو فساد القلوب، وتزعزع الإيمان لأن " الشعور الديني وحده هو الذي يستنهض الشرق ويسوقه إلى التقدم والرقي" [(٢)].

وإذا كانت الحضارة الغربية الحديثة قد ازدهرت على أنقاض تراجع السلطة الدينية، بل وتراجع دور الدين والمقدس أيضاً، فإن المسلمين يختلفون عن الغرب في ذلك

(١) باربراويتمر، الأنماط الثقافية للعنف، ترجمة (ممدوح يوسف عمران)، عدد مارس ٢٠٠٧/٣٣٧ سلسلة عالم المعرفة/الكويت ص ٣٦-٣٧.

(٢) النورسى، الخطبة الشامية، صيقل الإسلام، دار سوزلر للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢ ١٩٩٥ ص٥١٦

"لأن المسلم يختلف عن أفراد الأمم الأخرى، إذ لو تخلي عن دينه فلا يكون إلا إرهابياً فوضوياً لا يقيده شيء أيا كان" [١]، فالدين هو الذي يقيد المسلم بالنظام، ويجعله يحافظ على الأمن، كما أنه طريقه إلى الرقي والتقدم.

ولا شك أن أول سبيل للإيمان في معالجة العنف هو ترسيخ مفهوم الأمن الإنساني في المجتمع للحفاظ على الاستقرار، ولا يحدث ذلك إلا بالارتباط بالدين والإيمان "فلا يحصل الرقي والتقدم ولاينشر الأمن والنظام في ربوع البلاد بهذا الأسلوب – إتباع النمط الغربي – بل هم بحاجة إلى تنظيم مساعيهم، وبث الثقة فيما بينهم، وتسهيل وسائط التعاون فيما بينهم، ولا تتم هذه الأمور إلا بإتباع الأوامر المقدسة في الدين، والثبات عليه مع التزام التقوى" [٢].

ومن هذا المنطلق بذل النورسى " كل حياته في سبيل إسعاد هذه الأمة، ونشر الأمن والسعادة في ربوع البلاد" [٣]، وكان ينصح تلاميذه بعدم الإخلال بالأمن، وذلك لأن الحفاظ على الأمن، ونبذ الفوضى والغوغائية هما من الأسس الضرورية التي وضعها النورسى في رسائله لإنقاذ الأمة، والحفاظ على الحياة الاجتماعية من الفوضى والإرهاب، وهذه الأسباب هي :١- الاحترام المتبادل ٢-الشفقة والرحمة ٣- الابتعاد عن الحرام ٤-الحفاظ على الأمن ٥-نبذ الفوضى والدخول في الطاعة" [٤] إن سعي النورسى فى أن يكون الإيمان طريق تحقيق الأمن الإنسانى هو أحد السبل الهامة لدرء العنف غير المبرر في المجتمع، وتحقيق حالة الأمن فيه.

٢- تشكيل الوعي الإيماني للفرد طريق درء العنف :-

اهتمت رسائل النور بقضية تشكيل الوعي الإيماني للأفراد الذين هم اللبنة الأولي للمجتمع، وأن يسهم هذا الوعي في ترسيخ العلاقة الهارمونية (التوافقية) بين الإنسان والإنسان،وبين الإنسان والمجتمع، وبين والإنسان والطبيعة، وبين الإنسان وكافة الموجودات الأخرى في الوجود، ولا شك أن ترسيخ الوعي الإيماني لحالة الانسجام والتوافق بين الإنسان وكافة علاقاته الأخرى يسهم في بناء حالة من الاستقرار الوجداني،

(١) النورسى، الملاحق ، دار سوزلر للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢ ١٩٩٥ ص٣٠٦

(٢) النورسى، اللمعة السابعة عشر، اللمعات، دار سوزلر للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢ ١٩٩٣ص ١٨٨

(٣) النورسى، الشعاعات، دار سوزلر للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢ ١٩٩٣ ص٥٤٤

(٤) الشعاع الرابع عشر، الشعاعات ص٤٦ ، وأيضا الملاحق ص ٢١٣

والتي تسهم بشكل فعال في درء العنف في المجتمع، لأن العنف قد يحدث أحياناً نتيجة للخلل في علاقات الإنسان بالمحيط الذي حوله، وبالتالى فالوعي الإيماني يجابه حالة الصراع السلبي التي قد تحل في نفسية الأفراد، وتسهم في وجود العنف في المجتمع.

وكان الإمام النورسى يقول "إن المؤمن بسر الإيمان والتوحيد يرى أخوة بين كل الكائنات، وأنسية وتحبباً بين أجزائها" [١] فالكون ليس فيه عبث ولا إسراف، ولكن حالة الانسجام والنظام هي الحاكمة بين الكائنات " إن موجودات الكون بأنواعها المختلفة تتعاون فيما بينها تعاوناً وثيقاً يسعى كل جزئ منها لتكملة الآخر، وكأنها تمثل بمجموعها وأجزائها تروس معمل بديع، وبهذا التساند، وبهذا التعاون بين الأجزاء، وهذه الاستجابة في إسعاف كل منها لطلب الآخر، وإمداد كل منها للجزء الآخر... بل هذا التعانق والاندماج بين الأجزاء يجعل من أجزاء الكون وحدة واحدة تتعصى على الانقسام والإنفكاك" [٢].

إن رسائل النور تؤسس وعياً إيمانياً بالكون قائم على الانسجام والتوافق بين كل الكائنات، وبين كل أجزاء الكون المختلفة، وهو ما يرسخ الاستقرار الوجداني العميق لدي الفرد "فانظر إلى دستور التعاون كيف يجري من الشمس والقمر، ومن الليل والنهار، ومن الصيف والشتاء إلى سعي النباتات لإمداد الحيوانات بحمل أرزاقها وأخذها من خزينة الرحمة... ثم إمداد الحيوانات للبشر للخدمة، حتى النحل والدود يأخذان العسل والحرير من خزينة الرحمن ويوصلانها إلى الإنسان، ثم إمداد الذرات الغذائية للثمرات مع تخالف أغذيتها، وإمداد المواد الطعامية لتغذية حجيرات البدن بكمال الانتظام والعناية والحكمة" [٣]، إن هذه الحالة من التعاون والتكامل والتوافق والانسجام يتم تربيتها في الوعي الإيماني للأفراد بما يؤدي إلى خلق حالة من توافق الإنسان مع العالم والكائنات، وإلى حالة من الانسجام الكوني، والاستقرار الوجداني الذي يسهم في درء العنف في المجتمع.

---

(١) المثنوي العربي النوري ، دار سوزلر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط١ ١٩٩٥ ص ١٨١

(٢) النورسى، اللمعة الثلاثون، اللمعات ص ٥٤٠، اللمعة الرابعة عشر، اللمعات ص١٤٦، اللمعة التاسعة والعشرون، اللمعات ص٤٨٢

(٣) المثنوي العربي النوري ص٤٧

وتبني رسائل النور في الوعي الإيماني للأفراد قضية النظر إلى الطبيعة "على أنها صنعة إلهية ولا تكون صانعاً، كتاب رباني ولا تكون كاتباً، وهي نقش بديع ومحال أن تكون نقاشاً مبدعاً، هي شيء منفعل ولا تكون الفاعل، وهي نظام ومحال أن تكون ناظماً" [١] ومن ثم فالوعي الإيماني الذي تشكله رسائل النور للفرد ينسب وجود الإنسان، ووجود الطبيعة إلى إله خالق مبدع منظم، والطبيعة مخلوقة لأجل الإنسان وخلافته في الأرض.

وبالتالى فإن تربية الوعي الإيماني بالكون والطبيعة والإنسان لدى الأفراد يرسخ حالة واضحة من الانسجام، والتكافل والتعاون الفعال في علاقات الإنسان بالإنسان، والإنسان بالطبيعة والكائنات الأخرى، ويسهم هذا الوعي الإيماني في درء العنف لأنه لا يرسخ لعلاقات الصراع والإقصاء المتبادل بين الناس وبعضهم، وبين الإنسان والطبيعة، تلك الحالة من الصراع التي قامت عليها الحضارة الغربية الحديثة – والمتأثرة بنظرية التطور الداروينية – والتي أسهمت في انتشار العنف، فكان تاريخ الغرب الحديث هو تاريخ الاستعمار، والسيطرة والقهر من قِبل الإنسان للإنسان، ومن قِبل الإنسان للطبيعة، وأسهمت حالة الصراع والعنف في هذه الحضارة إلى ارتكاب الإنسان جنايات كبري في حق أخيه الإنسان، وفى حق الطبيعة، وبقية الكائنات الأخرى، فكانت الحروب العالمية، وضحايا الاستعمار، والمشكلات الكبرى في الطبيعة مثل التصحر والتلوث، وهي مشكلات ناتجة عن خلل في الوعي الكوني لدى الإنسان الغربي، لأن علاقة الإنسان بالآخر والطبيعة قائمة على الصراع والقهر والسيطرة، وليس على التكافل والتناغم والانسجام والتوافق.

وثمة تساؤل يطرح نفسه : كيف نفسر حالة الصراع بين الأضداد في الكون ؟ وكيف نفسر حالة الصراع بين الهداية والضلال، والكفر والإيمان ؟ إن النورسى يقدم في رسائله تفسيراً إيمانياً بحتاً لهذه المسألة فيقول "إن خالق الكون جل وعلا له من الأسماء الحسنى أسماء جلالية وأسماء جمالية، وحيث إن كلا منهما يظهر حكمه بتجليات مختلفة عن الأخرى، لذا فإن الخالق سبحانه وتعالى قد مزج الأضداد بعضها ببعض، وجعل يقابل كلا منها بالآخر، وأعطى كلا منها صفة التدافع والتجاوز، فأوجد الناشئة

(١) اللمعة الثلاثون، اللمعات ص٥٧٦

من تجاوز تلك الأضداد في حدود بعضها البعض الآخر"[١]، ومن ثم يمكن القول بأن تدافع الأضداد لدى النورسي هو سنة كونية إلهية، ينبغي أن تكون واضحة في الوعي الإيماني لدى الأفراد، وهذه السنة لا تتعارض مع روح الانسجام والتوافق والتناغم السائد في الكون ككل.

٣- محدودية الوعي الإنساني ونسبية معرفته طريق درء العنف :-

حاولت رسائل النور في تربيتها للوعي الإيماني للأفراد غرس حالة من الوعي بمحدودية الإنسان وأن النفس الإنسانية المحدودة هذه قد تكون مصدراً للشرور والعنف، ومن ثم فعلى الإنسان أن يدرأ أنانيته التي هي مصدر الشرور، وأن يركز على إصلاح عيوبه، وحاجاته، وفقره، وذلك لأنه محدود ومقيد، مقيد بالبدن، ومقيد في الحياة، ومقيد في البقاء، ومحدود القدرة، فالنفس الإنسانية بهذا القصور والعجز والاحتياج، ويرى النورسى أن كل ذلك كان لحكمة ربانية فيقول "كما أودع فيك الجوع والعطش لمعرفة لذة نعمة الله، كذلك ركبت من القصور، والفقر، والعجز، والاحتياج لتنظر بمرصاد قصورك إلى سرادقات كمال سبحانه، وبمقياس فقرك إلى درجة غناه ورحمته"[٢].

إن رسائل النور تسعى إلى تشكيل وعي الإنسان بذاته على أنه محدود وضعيف، حتى يكون فعالاً في حدود هذا الضعف فيقول النورسي موجهاً خطابه للإنسان بأنه "ليس له من الاختيار إلا شعرة، وليس له من الاقتدار إلا ذرة، وليس له من الحياة إلا شعلة تنطفئ، وليس له من العمر إلا قليل مثل دقيقة تنطفئ، وليس له من الشعور إلا لمعة تزول، وليس له من المكان إلا مقدار القبر! وله من العجز ما لا يحد"[٣].

وإذا كانت رسائل النور ترسخ الوعي بمحدودية الإنسان فذلك من أجل تربية الإنسان على نبذ الغرور والأنانية "وترك دواعي الحسد والمنافسة والأحاسيس النفسانية التافهة"[٤] لأن هذه الأحاسيس هي السبيل إلى العنف أحياناً، وينبغي تطهير النفس الإنسانية منها، وتصفيتها من كل دواعي الشرور، ومن كل الأحاسيس السلبية، وترك كل

---

(١) اللمعة الثالثة عشر، اللمعات ص ١٢٣

(٢) المثنوي العربي النوري ص ٣٤٦

(٣) المرجع نفسه ص ١٩١

(٤) اللمعة العشرون، اللمعات ص ٢٢٩

دواعي العنف فى النفس الإنسانية، وتطهير القلب بالإيمان بالله، ويقول النورسى للإنسان " إن كنت تريد أن تعادي أحداً فعاد ما في قلبك من العداوة، واجتهد في إطفاء نارها، واستئصال شأفتها، وحاول أن تعادي من هو أعدى عدوك، وأشد ضرراً عليك، تلك هي نفسك التي بين جنبيك، فقاوم هواها، واسع إلى إصلاحها، ولا تعاد المؤمنين لأجلها، واعلم أن صفة المحبة محبوبة لذاتها، كما أن خصلة العداء تستحق العداء قبل أي شيء"[١]، ولا شك أن تركيز النورسى على الإيمان بمحدودية الإنسان وضرورة تطهير قلبه، وكسر طوق الأنانية الذي قد يسيطر على النفس الإنسانية هو أثر من آثار الصوفية على فكر النورسى.

ومن الإيمان بمحدودية الإنسان حاول النورسى أن يرسخ لمفهوم نسبية المعرفة الإنسانية، والذي يسهم بشكل فعال في درء العنف السائد بين أصحاب المذاهب والمعتقدات، وذلك لأن كل صاحب مذهب يرى أنه صاحب الحق المطلق، والآخر على خطأ مطلق، تلك النزعة الدوجماطيقية التي تؤسس للإقصاء المتبادل بين المذاهب والأديان، وتسهم في إرساء العنف بين الناس، فكان الإمام النورسى يقول " إن صاحب كل مسلك حق يستطيع القول أن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل من دون أن يتدخل في مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول (الحق هو مسلكي فحسب) أو أن (الحسن والجمال في مسلكي وحده)، والذي يقضي إلى بطلان المسالك الأخرى"[٢].

ولا شك أن القول بمحدودية الإنسان، ونسبية المعارف والمسالك الإنسانية لدى النورسى يكشف لنا عن نظرة منفتحة ترسخ لروح التسامح بين أصحاب المسالك والمشارب والمعتقدات والمذاهب، وتؤدي إلى قبول الآخر، وقبول التعددية في طرق الوصول إلى الحق، وهذا دليل واضح على دعوة النورسى إلى قبول التعددية والانفتاح، وهو مايؤدى إلى درء العنف، لأن أحد أسباب العنف هو الإيمان بمطلقية المعرفة الإنسانية، والذى يؤدي إلى الإقصاء المتبادل بين أصحاب المذاهب، ويكرس للعنف.

---

(١) المكتوب الثاني والعشرون ، المكتوبات ، دار سوزلر للطباعة والنشر ،القاهرة، ط٢ ١٩٩٣ص ٣٤٣

(٢) اللمعة العشرون ، اللمعات ص ٢٢٩

- 3 -

ثانيا: دور الإيمان في ترسيخ القيم والمشاعر الإيجابية لدرء العنف :

ومن الطرق المهمة التي تسعى بها رسائل النور إلى مجابهة العنف، هي إرساؤها لمجموعة من القيم والمشاعر الإيجابية الفعالة في مسألة مقاومة العنف في المجتمع، ولا شك أن تنشئة أفراد المجتمع على التشبع بهذه القيم من خلال الإيمان هو أحد الوسائل المهمة لدرء العنف، ويمكن إجمال هذه القيم والمشاعر في النقاط الآتية.

١- **من التعصب إلى التسامح:** من أسباب العنف في المجتمع انتشار روح التعصب بين الأفراد، وبصفة خاصة التعصب الديني، وينتج التعصب لاعتقاد صاحبه بأن الصورة التي يعتقدها في العقيدة على صدق مطلق، وأي نمط آخر للاعتقاد هو كذب مطلق، وإذا كان التعصب هو أحد الأسباب الكبرى لانتشار العنف فإن ترسيخ روح التسامح بين الأفراد يدرأ التعصب والعنف معاً، وقد حاول الإمام النورسى أن يرسخ روح التسامح بين أفراد أمته كأساس للعلاقة بين المسلمين بعضهم البعض، وبين المسلمين وأصحاب الملل الأخرى، و يضع النورسي دعائم دستور التسامح لتلاميذه حين يقول لهم "اعفوا عن هفوات اخوانكم، واصفحوا عن تقصيراتهم، وغضوا أبصاركم عن عيوب بعضكم البعض الآخر"[١].

وترسيخ روح التسامح بين الأفراد كان دستور رسائل النور، وكان النورسى يدعو إلى التسامح من منطلق المحبة والشفقة، وكان يتسامح مع الظالمين فيقول " كانت الشفقة دستور حياتي منذ ثلاثين عاماً، وأساس مسلكي، ومسلك رسائل النور، فإنني لا أتجنب التعرض للمجرمين الذين ظلموني وحدهم، بل لا أستطيع حتى مقابلتهم بالدعاء عليهم، وذلك لكي لا أتسبب في إلحاق الضرر بأي شخص برئ، بل إن هذه الشفقة هي التي دفعتني من أن أتعرض، أو حتى أدعو على بعض الفساق، بل الظالمين اللا دينيين الذين اندفعوا بحقد شديد في ظلمي، وذلك لكي لا أتسبب في ضرر مادي يلحق بالشيوخ والعجائز والمساكين من أمثال ذلك الظالم أو والدته، أو في الإضرار بأنفس بريئة مثل أولاده، ولذلك فمن أجل أربع أو خمس من الأنفس البريئة لا أستطيع التعرض لذلك الظالم"[٢]، بهذه الروح العظيمة من التسامح كان الإمام يخشي حتى من

---

(١) اللمعة العشرون، اللمعات ص ٢٣٥

(٢) الشعاع الرابع عشر، الشعاعات، ص ٤٣٩

إلحاق أي ضرر بأعدائه لأن هذا الضرر يمكن أن يصيب من حولهم من نفوس أقاربهم، وهى نفوس بريئة، و بتلك الروح الفياضة من التسامح كان الإمام النورسى يواجه أعداءه، ويبث ذلك التسامح بين تلاميذه، وهي دعوة فعالة في درء العنف.

٢- **من الظلم إلى العدل** : يعد وجود الظلم وانتشاره في المجتمع أحد الأسباب المؤدية إلى العنف، والظلم يتخذ أسبابا عدة منها الظلم الاجتماعي في عدم حصول بعض الأفراد على حقوقهم الاجتماعية، أو الظلم الاقتصادي في تباين توزيع الثروات بين أفراد المجتمع، أو الظلم فى عدم المساواة فى تطبيق القانون على جميع أفراد المجتمع، وغيرها من أشكال الظلم في المجتمع الإنساني، ولاشك أن علاج الظلم – كسبب رئيسي للعنف أحيانا – لا يتم إلا بنشر العدالة في المجتمع، وهذا مادعا إليه التشريع الإسلامي، فنشر العدل لابد أن ينتهي إلى حفظ المجتمع وتماسكه، وقد وضع علم أصول الفقه في مقاصد الشريعة العدالة كقيمة كبرى، وذلك لأن "تحقق العدالة في التعامل الاجتماعي تورث في النفوس الرضى عن الآخرين، والشركاء في المجتمع، وتورث بالتالي انتماءً قوياً إليهم، ودافعا نحو العمل الصالح لصالح المجتمع الذي بنى على العدل،وعلى عكس ذلك فإن هذه القواعد عندما لا تكون متحققة في التعامل الاجتماعي، فإن ذلك يورث في النفوس الحقد على المجتمع لما يحدثه من شعور بالظلم، كما يورث الزهد في هذا المجتمع"[(١)].

وقد احتلت قيمة العدل مكانتها المحورية في رسائل النور، فيقول النورسى " إن دستور المدنية الظالم هو: أن يضحّى بالفرد لأجل الجماعة، ولاينظر إلى الحقوق الجزئية من أجل سلامة الأمة، وقد فتح هذا الدستور ميدان مظالم شنيعة لم يُرَ مثلها حتى في القرون الأولى بينما العدالة الحقيقة للقرآن المبين أنه لا يفدى بحق الفرد لأجل الحفاظ على الجماعة، فالحق لا ينظر إلى كثير أوقليل"[(٢)] والقرآن يقر بأنه ﴿مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾ (المائدة: ٣٢) هذه الآية تضع أعظم دستور للعدالة المحضة التي تقرر ألا تهدر دم بريء، ولا تزهق روحه حتى لو كان في ذلك حياة البشر جمعاء، فكما أن كليهما في نظر القدرة الإلهية سواء

(١) عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة، دار الغرب الإسلامي، لبنان ، ط٢ ٢٠٠٨ ص ١٤٧

(٢) الملاحق، ص١٢٧

فهما في نظر العدالة سواء أيضا... ولهذا فليس للحق صغير ولا كبير"[١] ومن ثم يمكن القول أن دعوة رسائل النور إلى ترسيخ العدالة في المجتمع يمكن أن تسهم بشكل فعال في مجابهة العنف، لأن أحد أسباب العنف الكبرى هو انتشار الظلم في المجتمع، وعجز كثير من أفراده عن الحصول على حقوقهم الاجتماعية والاقتصادية.

٣- **من الاختلاف الهدام إلى الوحدة البنَاءةُ:** يشكل الاختلاف بالمعنى السلبي أحد الطرق المؤدية للعنف، ويميز النورسى بينه وبين الاختلاف الايجابي البناءَ " فحديث الرسول صلى الله عليه وسلم (اختلاف أمتي رحمة)* له معناه وهو الاختلاف الايجابي البناء، ومعناه أن يسعى كل واحد للترويج لمسلكه، وإظهار صحة وجهته،وصواب نظرته دون أن يشوه مسالك الآخرين، أو الطعن في وجهة نظرهم، وإبطال مسلكهم، بل يكون سعيا لإكمال النقص ورأب الصدع ما استطاع إليه سبيلاً، وأما الاختلاف السلبي فهو محاولة كل واحد تخريب مسلك الآخرين وهدمه، ومبعثه الحقد والضغينة والعداوة "[٢].

وينصح النورسى المسلمين على اختلاف مشاربهم بعدم الوقوع في الاختلاف السلبي الذي يمكن أن يؤدى إلى العنف، وذلك لأن الاختلاف بهذا المعنى هو نتاج لاتباع الأهواء، ومن ثم فإن التخلص من هذا المرض الفتاك، مرض الاختلاف الذي ألمّ بأهل الحق يكون باتخاذ الأمر الإلهي في الآية الكريمة ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٢) دستوراً للعمل في الحياة الاجتماعية ثم العلم بمدى ما يسببه الاختلاف من ضرر بليغ على الإسلام والمسلمين"[٣].

ولا يتأتى درء الاختلاف السلبي إلا من خلال البحث عن أسباب الوحدة بين المسلمين من أجل القدرة على مواجهة المخاطر التي تهددهم في العالم، وذلك من منطلق " أن أشد القبائل تأخّرا يدركون معنى الخطر الداهم عليهم، فتراهم ينبذون الخلافات الداخلية، وينسون العداوات الجانبية عند إغارة العدو الخارجي عليهم، وإذ تقدر تلك القبائل المتناحرة مصلحتها الاجتماعية حق قدرها، فالذين يقومون بخدمة

---

(١) السنوحات، صيقل الإسلام ص ٣٣٧

* كشف الخفاء ١/٦٤

(٢) المكتوب الثاني والعشرون، المكتوبات ص ٣٤٧

(٣) اللمعة العشرون، اللمعات ص٢٣٤

الإسلام، ويدعون إليه لا ينسون عداوتهم الجزئية الطفيفة فيمهدون بها سبيل إغارة الأعداء الذين لا يحصرهم العد عليهم"[١].

وتقر رسائل النور أنه بفضل الدين كرابطة مقدسة يمكن أن تتحد الأمة الإسلامية على اختلاف أجناسها وأعراقها، وتكون كعشيرة واحدة مترابطة، وينصح النورسى أن تتخذ الآية الكريمة ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُم﴾ (الأنفال: ٤٦) دستورا، وهى تشير إلى التساند والترابط، ولهذا لا ينبغي أن يكون هناك تفاخر واستعداء، وتحاسد بين الأخوة، بل لابد أن يكمل نقص بعضهم البعض الآخر، لأن الكل مكمل لجسد واحد هو جسد الأمة الإسلامية " فكما لا حسد بين تروس المعمل ودواليبه، ولا يتقدم بعضها على بعض، ولا يدفع أحدها إلى التعطيل بالنقد والتجريح، وتتبّع العورات، والنقائص، ولا يثبط شوقه إلى السعي، بل يعاون كل منهما الآخر بكل ما لديه من طاقة موجهاً حركات التروس والدواليب إلى غايتها المرجوة فيسير الجميع إلى ما وجدوا لأجله بالتساند التام والاتفاق الكامل" [٢].

وتذهب رسائل النور إلى أن العقيدة لها دورها الفعال في توحيد مجموع الأمة الإسلامية على اختلاف مشاربها " لأن الإيمان بعقيدة واحدة يستدعى حتما توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد، ووحدة العقيدة هذه تقتضى وحدة المجتمع، فأنت تشعر بنوع من الرابطة مع من يعيش معك في طابور واحد، فما بالك بالإيمان الذي يهب لك من النور والشعور ما يريك به من علامات الوحدة الكثير، وروابط الاتفاق العديدة"[٣] إن وحدة الشعور العقائدي تخلق حالة من الانسجام والتكامل بين أفراد المجتمع المسلم بما يسهم في درء حالة الاختلاف والصراع السلبي بين أفراده.

ولاشك أن ما يعمق الوحدة بين المسلمين هو تدعيم مفهوم الأخوة بينهم القائم على وحدة العقيدة " حيث جاء الدين ليشرع لرابطة عاطفية بين أفراد المجتمع وجماعاته، وهى أرقى العواطف وأقواها، وهى رابطة الأخوة، تلك التي تشعر كل فرد من أفراد المجتمع بأنه يرتبط مع الآخرين بعلاقة روحية ينتمي كل منهم إلى الأصل

---

(١) المكتوب الثاني والعشرون، المكتوبات ص ٣٤٩

(٢) اللمعة العشرون، اللمعات ص ٢٣٤

(٣) المكتوب الثاني والعشرون، المكتوبات ص ٣٤١

الواحد هو أصل الإيمان المشترك "[١] ولقد دعم النورسى مفهوم الأخوة بين تلاميذه ومريديه وكان يقول " إن الفناء في الأخوة دستور جميل يناسب مسلكنا ومنهجنا تماما، أي أن يفنى كلٌ في الآخر، وأن ينسى حسياته النفسانية، ويعيش فكرا مع مزايا إخوانه وفضائلهم، حيث إن أساس مسلكنا ومنهجنا هو الأخوة في الله "[٢] ويرى النورسى أن الإيمان هو الذي يؤسس أخوة بين كل الكائنات، وبين الناس بعضهم البعض، وأن الإيمان يكسر في نفس المؤمن الحرص والعداوة والوحشية، ولكن الكفر والزندقة يؤسس للعداوة والاختلاف بين كل الناس.

ويعالج الإمام النورسى في ثنائية الاختلاف والوحدة إمكانية درء العنف بدرء دواعي الاختلاف السلبي الهدام الذي يؤدى إلى إقصاء الأطراف المختلفة بعضها البعض الآخر، ولا يتم التغلب على ذلك إلا من خلال الوحدة البناءةَ بين المسلمين على اختلاف مشاربهم، وبين المسلمين وأصحاب الملل الأخرى، ولا يتم ذلك إلا بشيوع روح الأخوة في الدين التي يدعمها الإسلام، أو روح الأخوة في الإنسانية، وتلك مفاهيم فاعلة في مواجهة العنف، ودرء أسبابه ودواعيه.

٤- **من العداوة إلى المحبة** : ومن أسباب العنف انتشار روح العداوة والبغضاء والكراهية بين أفراد المجتمع، وبين الإنسان والإنسان، وقد اعتبر النورسى أن حب العداوة هو أحد أمراض الأمة الإسلامية، ولهذا حاولت رسائل النور هدم روح العداوة من النفوس، وترسيخ المحبة بين الأفراد، وذلك لأن" صفة المحبة هي ضمان الحياة الاجتماعية البشرية، وهى التي تدفع إلى تحقيق السعادة، وهى أليق للمحبة، وأن صفة العداوة هي عامل تدمير الحياة الاجتماعية وهدمها، وهى أقبح صفة وأضرها "[٣] ومن ثم يرى النورسى أن " جوهر الحياة الاجتماعية والإنسانية، ولاسيما للأمة الإسلامية أساسها هو: وجود محبة خالصة بين الأقرباء، ووجود رابطة وثيقة بين القبائل والطوائف، ووجود أخوة معنوية وتعاونية نحو إخوته المؤمنين ضمن القومية الإسلامية"[٤].

---

(١) عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة الإسلامية ص١٧٢

(٢) اللمعة الحادية والعشرون، اللمعات ص ٢٤٥، الملاحق ص ١٩٤

(٣) الخطبة الشامية، صيقل الإسلام ص ٥٠٩

(٤) الشعاع الرابع عشر، الشعاعات ص ٤٦٥

وكانت تعاليم النورسى لتلاميذه ومريديه بأن" لا تواجهوا المعارضين بالعداء، بل اتخذوا طور الصداقة مع أهل التقوى،وأهل العلم قدر المستطاع "[١] فالنورسى يريد أن يرسخ المحبة بين المسلمين، وبين المسلمين وجميع الأجناس الأخرى، وهو ما يكون فعالا في مواجهة العنف، وذلك من منطلق أنه "إذا اجتمعت دواعي المحبة وترجحت أسبابها فأرست أسسها في القلب استحالت العداوة إلى عداء صوري، إذ انقلبت إلى صورة من العطف والإشفاق"[٢].

ويرى النورسى أن أساس المحبة هو الإيمان، ورابطة الإسلام، ثم الرابطة الإنسانية العامة بين البشر فلا يقتصر الأمر على إشاعة المحبة بين المسلمين، ولكن أيضا بين المسلمين وجميع الطوائف الأخرى من بنى الإنسان فيقول" إن أسباب المحبة هي الإيمان والإسلام والإنسانية وأمثالها من السلاسل النورانية المتينة، والحصون المعنوية المنيعة"[٣] ونلاحظ هنا وضع النورسى رابطة الإنسانية كرابطة قوية بين الناس بعضهم البعض، ولم يقتصر على رابطة الإيمان أو الإسلام، وذلك يتضح بصورة جلية "في الدستور القرآني الواضح ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُواْ﴾ (الحجرات: ١٣) أي لتعارفوا، فتعارفوا وتحابوا، لا لتتناكروا فتعاندوا فتتعادوا، وكل إنسان له روابط متسلسلة ووظائف مترابطة، فلو اختلفت هذه الروابط والوظائف، ولم تعين وتحدد لما كان هناك تعاون ولا تعارف"[٤] ومن ثم يمكن القول أن درء روح العداوة هو أمر فعّال في مواجهة العنف كمرحلة أولى، ثم تأتي إشاعة روح المحبة كمرحلة ثانية أكثر فاعلية في مقاومة العنف، وذلك لأن العنف لا يتخلق إلا في بيئة العداوة والكراهية.

٥- **من اليأس إلى الأمل:** و من أسباب العنف انتشار روح اليأس بين الأفراد، وقد اعتبر النورسى اليأس أحد أمراض الأمة الإسلامية، والذي ينبغي معالجته عن طريق بث روح الأمل في النفوس من خلال الإيمان بالله، فالإيمان يهب الأمل والتفاؤل للروح الانسانية.

---

(١) الملاحق ص ٢٠٢

(٢) المكتوب الثامن والعشرون ، المكتوبات ص ٣٤٠

(٣) الخطبة الشامية ، صيقل الإسلام ص ٥١٠

(٤) السنوحات ، صيقل الإسلام ص ٣٣٥

فالإيمان بالله واليوم الأخر له انعكاساته الايجابية فى بناء الانسان، ودعم روح الأمل والتفاؤل لديه، ذلك أنه " بسبب عجز البشر وكثرة أعدائه، يحتاج البشر إلى نقطة استناد يلتجىء إليه لدفع أعدائه الغير المحدودة، وبغاية فقر الإنسان، مع غاية كثرة حاجاته وأماله يحتاج أشد الاحتياج إلى نقطة استمداد يستمد منها، فالايمان نقطة استناد لفطرة البشر، والإيمان بالآخرة نقطة استمداد لوجدانه، فمن لم يعرف هاتين النقطتين يتوحش عليه قلبه وروحه، ويعذبه وجدانه دائما "[١] و بالتالي فالإيمان يشكل دعما معنويا وروحيا للإنسان، وهو طريق إلى التفاؤل والأمل واليقين بقدرة الله.

وتكشف رسائل النور عن الدور البارز للإيمان باليوم الآخر فى تحرير الإنسان من براثن الغربة، وبث روح السعادة والأمل فى الحياة الإنسانية على اختلاف مستوياتها فيقول النورسى "الإيمان بالحشر ينقذ الإنسان والمخلوقات جميعا من التردى إلى هاوية أسفل سافلين، وهو الفناء المطلق، والضياع والعبث، ويرفعه إلى أعلى عليين وهو الرفعة والبقاء، وتقلد الواجبات" [٢] ويبدو دور الإيمان باليوم الآخر واضحاً على مجمل الحياة الاجتماعية والعائلية، ويؤدى إلى الاستقرار "فلاسعادة لروح الحياة العائلية إلا بالاحترام المتبادل الجاد،والوفاء الخالص بين الجميع، والرأفة الصادقة، والرحمة التى تصل إلى حد التضحية والايثار، ولايحصل هذا الاحترام الخالص، والرحمة المتبادلة إلا بالإيمان بوجود علاقات صافية أبدية، ورفقة دائمة، ومعية سرمدية فى زمن لانهاية له، وتحت ظل حياة لاحدود لها ترتبط بها علاقة أبوية محترمة مرموقة،وأخوة خالصة نقية "[٣].

وللإيمان باليوم الآخر دوره البارز فى تعامل الإنسان مع مراحل عمره المختلفة بروح الأمل فالانسان فى مرحلة الشيخوخة يتحمل الآلام والأمراض بأمل ويقين بالله، فمادامت الآخرة موجودة "فلاينبغى الشكوى من الشيخوخة،وعدم التضجر منها، ذلك أن الشيخوخة المشربة بالإيمان والعبادة، والموصلة إلى سن الكمال ماهى إلاعلامة انتهاء واجبات الحياة ووظائفها، وإشارة إلى ارتحال إلى عالم الرحمة للخلود إلى الراحة"[٤] وكذلك فإن على الشباب أن يعى أن قوته إلى زوال لأنه " ماقضى الشاب عهد

(١) اللمعة التاسعة والعشرون، اللمعات ص ٤٦٧، الخطبة الشامية، صيقل الإسلام ص ٤٩٤

(٢) الكلمة العاشرة، الكلمات ص ٧٤

(٣) رسالة الثمرة، الشعاع الحادي عشر، الشعاعات ٢٥٦

(٤) اللمعة السادسة والعشرون، اللمعات ص ٣٤٧

شبابه بما أمره الله به، واتبع الصراط السوى، واستقام عليه، فإنه يجعله نعمة إلهية، وأجمل هبة رحمانية، ويتخذه سبيلا قويما ممهدا إلى الصالحات، ولأثمر له كذلك شباباً ناضراً، وفتوة خالدة دائما فى الآخرة، بدلاً من هذا الشباب الفانى الزائل"[١] ومن ثم فالايمان بالآخرة يدعم روح الأمل، والصبر على تحمل مشاق الحياة، وهو مايخلق حالة من الاستقرار الاجتماعى التى تسهم بشكل فعال فى درء اليأس من خلال بث روح الأمل والتفاؤل فى نفوس جميع المسلمين.

ومن جانب آخر فإن للإيمان بالقدر دوراً ايجابياً فى حياة الإنسان، فهو يحرره من الضيق والألم واليأس، ويمنحه الأمل فى مواجهة أهوال الحياة وآلامها " فى حين أن الإنسان إن لم يؤمن بالقدر يضطر لأن يحمل أثقالاً بقدر الحياة على كاهل روحه الضعيفة ضمن دائرة ضيقة وحرية جزئية، وتحرر مؤقت، لأن الإنسان له علاقة مع الكائنات قاطبة، وله مقاصد ومطالب لاتنتهى إلا أن قدرته وإرادته لاتكفى لإيفاء واحد من مليون من تلك المطالب والمقاصد، ومن هنا يفهم مدى ما يقاسيه الإنسان من ثقل معنوي في عدم الإيمان بالقدر (...) في حين أن الإيمان بالقدر يحمل الإنسان على أن يضع جميع الأثقال في سفينة القدر مما يمنحه راحة تامة "[٢].

ومن ثم يمكن القول أن رسائل النور ترى أن انتشار اليأس هو أحد أسباب تخلّق العنف في المجتمع، وحين سعت إلى إرساء دعائم الأمل والتفاؤل في النفس الإنسانية، ذلك لكى يتحول الإيمان بالله واليوم الآخر والقدر، إلى طاقة ايجابية فعالة في الحياة الإنسانية، ويكون لذلك أثره على مجمل الحياة الإنسانية.

ومن مجمل دور الإيمان في تأسيس القيم والمشاعر الإيجابية نرى مدى تركيز رسائل النور على كيفية بيان دور الإيمان فى صياغة الضمير الإنساني، ودوره في تشكيل الوعي الإنساني بما يمكن أن يسهم بطريقة فعالة في درء العنف في المجتمع المسلم، ودرء العنف في علاقة المسلمين بغيرهم، ولاشك أن ذلك أفضل بكثير من حديث المجتمع عن التشريعات القانونية لدرء العنف، وذلك لأن حجب العنف لا يبدأ إلا من داخل الإنسان من وعيه وضميره وإيمانه، فهذا أكثر فاعلية من كل التشريعات القانونية

---

(١) رسالة الثمرة ، الشعاع الحادي عشر، الشعاعات ص ٢٥٦

(٢) رسالة القدر، الكلمة السادسة والعشرون، الكلمات، دار سوزلر للطباعة والنشر ط٢، القاهرة ١٩٩٢. ص ٥٢٢

الوضعية لأنني أبدأ بمحاربة العنف من المنبع من النفس الإنسانية، وذلك ببث كل القيم والمشاعر الإيجابية التي تدرأ العنف من النفس.

- 4 -

ثالثا: في تأسيس علاقة جيدة بين المذاهب والقوميات والأديان:

ومن أسباب العنف في عالمنا المعاصر توتر العلاقة بين المذاهب الدينية نتيجة لروح الإقصاء المتبادل بينها، وينتج العنف أيضا من صراع العرقيات والأجناس المختلفة،كما يسهم توتر العلاقة بين الأديان وأصحاب الملل المختلفة في إنتاج العنف في العالم والسؤال هنا: ما طبيعة العلاقة بين المذاهب والقوميات والأديان؟ ما الصورة التى خطتها رسائل النور للعلاقة بين المذاهب والقوميات والأديان؟ لقد سعت رسائل النور إلى تأسيس علاقة جديدة بين المذاهب والقوميات والأديان تركز على درء العنف، وإقرار التسامح والاتفاق، وإذا أردنا الإجابة على التساؤلات السابقة فيمكن تحديدها في الآتي.

١- **المذاهب الدينية:** لقد أرسي علم الكلام التقليدي علاقة الإقصاء المتبادل بين الفرق والمذاهب الإسلامية، فكل فرقة أو أصحاب مذهب تعتقد أنها الفرقة الناجية والباقي على ضلال، وكل فرقة تصور نفسها بصورة ايجابية في مصنفاتها الكلامية، وتشوه صورة المذاهب والفرق الأخرى، وذلك ما تكشفه كتب العقائد القديمة، وكتب تاريخ الملل والنحل، ولكن النورسي في رسائله نهج نهجاً جديداً في إرساء مبادئ مختلفة في علاقة المذاهب الإسلامية بعضها بالبعض.

ويمكن إيضاح ما سبق بالقول بأن النورسى كان يدعو بشكل واضح إلى ضرورة الكف عن تكفير الآخرين فيقول "ينبغي للذين يجرءون على تكفير الآخرين بسرعة أن يتدبروا "[1] فلم يكن الإمام يميل إلى تكفير الآخرين، ولو حمل الكفر على مائة وجه والإيمان على وجه واحد كان يميل إلى ترجيح الإيمان، وهذا ما يتضح جلياً في مواقفه من أصحاب المذاهب الإسلامية الأخرى المغايرة لأهل السنة.

فحين يتحدث عن العلويين يقول "إن العلويين الذين اتخذوا حب آل البيت مسلكا لايدخلون ضمن الكفر المطلق مهما أفرطوا، بل حتى لو كانوا روافض، لأنه كلما

(١) السنوحات، صيقل الإسلام ص ٣٣٩

توغلت محبة آل البيت في قلوبهم فإنهم لا يدخلون الكفر المتضمن العداء للرسول الكريم وآل البيت، بل يتمسكون بالإسلام بشدة بوساطة تلك المحبة، فجلب هؤلاء إلى دائرة السنة النبوية عن طريق الصوفية يعد فائدة جلية "[١] فكان النورسى ينظر إلى السبل التي توحد المسلمين على اختلاف مذاهبهم وفرقهم، وكان يبحث عن الأرضية المشتركة التي يمكن أن يلتقي فيها جميع الفرق والمذاهب.

وتتجلي روح التسامح في التعامل مع المذاهب الأخرى في سؤال بعض تلاميذه عن الإمام زيد بن على (٧١- ١٢٢هـ) إمام أهل اليمن فقال " إن الإمام زيد من السادات العظام، ومن أئمة أهل البيت، وهو الذي رد غلاة الشيعة قائلا اذهبوا أنتم الروافض، ولا يقر التبرئة من أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - بل يقر بخلافتهما ويجلهما، وأن أتباعه وهم - الزيدية - هم أعدل الشيعة، وأقربهم إلى السنة، فيتصفون بالإنصاف وقبول الحق بسرعة"[٢] ونلاحظ مدى سعي النورسى إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية، ويحاول درء مواطن الاختلاف بينهما، وينادي بضرورة الوحدة بين جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم وفرقهم ، وذلك من أجل مواجهة الخطر المحدق بالإسلام وبالمسلمين، ويوجه دعوته إلى أهل السنة والشيعة فيقول" ارفعوا فورا هذا النزاع فيما بينكم، هذا النزاع الذي لا معني له، ولا حقيقة فيه، وهو باطل ومضر في الوقت نفسه، وإن لم تزيلوا هذا النزاع فإن الزندقة الحاكمة الآن حكما قويا تستغل أحدكما ضد الآخر، وتستعمله أداة لإفناء الآخر، فيلزمكم نبذ المسائل الجزئية التي تثير النزاع لأنكم أهل التوحيد بينكم مئات الروابط المقدسة الداعية إلى الأخوة والإيثار"[٣] ويبرز هنا مدى الوعي العميق لدى النورسى في تأكيده على ضرورة نبذ المسائل الخلافية بين السنة والشيعة، والتركيز على روابط والوحدة والاتفاق، وهذا يكشف لنا عن رؤية ترسخ للتسامح بين المذاهب الإسلامية، وذلك من أجل خدمة الإسلام، وتسهم كذلك في درء العنف الناتج عن التعصب بين أصحاب المذاهب الدينية المختلفة.

---

(١) الملاحق ص٣٠٩

(٢) المرجع نفسه ص ١٧٥

(٣) اللمعة الرابعة عشر، اللمعات ص ٣٨

٢- **القوميات العرقية**: إن الصراع بين القوميات العرقية هو أحد الطرق المعبدة للعنف بين الجماعات، وأن التعصب للقومية كان دافعاً لحروب كثيرة قديماً وحديثاً، وقد رأى النورسى أن القومية العرقية ما هي إلا عصبية جاهلية، كما أن القومية العرقية قد أضرت كثيرا بالمسلمين، وأدت إلى عنف وتطاحن بينهم، وقد ظهر هذا جليا في عهد الأمويين، حيث " اعتمد الأمويون على جنس العرب في تقوية الدولة الإسلامية، وقدموهم على غيرهم أي فضلوا رابطة القومية على رابطة الإسلام فأضروا من جهتين الأولى: آذوا الأقوام الأخرى بنظرتهم هذه، وولّدوا فيهم الكراهية والنفور، والثانية: أن الأسس المتبعة في القومية والعنصرية أسس ظالمة لا تتبع عدالة، ولا توافق الحق، إذ لا تسير تلك الأسس على وفق العدالة، بينما الإسلام يجبُّ ما قبله من عصبية وجاهلية "[١] ويرى النورسى أن إثارة النعرات العرقية والقومية كان السبيل لدى المستعمر للتفريق بين العرب والأتراك، وإثارة الاضطراب، فالإضرار بالناس بأعمال سلبية هو فطرة القومية والعنصرية، في حين أن قومية الترك، وقومية العرب قد مزجت بالإسلام وأن قوميتهم الحقيقية هي الإسلام، والذي يذيب الفوارق بين العرقيات المختلفة، ومن ثم فإن الحمية الدينية والحمية الإسلامية قد امتزجتا في العرب والترك مزجا لا يمكن فصلهما، فإن الحمية الإسلامية هي أقوى وامتن حبل نوراني نازل من العرش الأعظم فهي العروة الوثقى لا انفصام لها، وهي القلعة التي لا تهدم"[٢] ولا شك أن تاريخ الإسلام يكشف لنا عن مدى صدق رؤية النورسى في قدرة الإسلام على إذابة الأعراق والقوميات تحت مظلته حيث جمع الإسلام في بدايته بين بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي بجوار العرب ليجسد لنا كيف يمكن أن يصهر الإسلام كل الأعراق والأجناس المختلفة في بوتقة واحدة، تحت مظلة تعاليمه السامية التي لا تفرق بين الناس على أساس العرق، بل على أساس الإيمان والتقوى والعمل الصالح، وهذا ما يدعو إليه النورسى فى ضرورة وحدة الأعراق المختلفة تحت مظلة الإسلام.

ويرى النورسى أن فكرة القومية العرقية أدت إلى كثير من حوادث العنف في العالم، مثل الحروب العالمية (الأولى والثانية) والتي أبيد فيها ملايين من البشر من كافة أنحاء العالم ويقول "إن الحروب المدمرة ليست من أجل الحق وإرساء الحقيقة، ولا لأجل

---

(١) المكتوب الخامس عشر، المكتوبات ص ٦٨

(٢) الخطبة الشامية ، صيقل الإسلام ٥١٧

إعلاء شأن الدين وإقرار العدالة، بل تستند إلى العناد والعصبية القومية، والمصلحة النوعية، وإشباع أنانية النفس، فترتكب مظالم شنيعة، ومآسي أليمة لم يُرَ مثيلها في العالم، لذا فإن الإسلام والقرآن بريئان بلا شك من مثل تلك الحروب المدمرة التي لا تنسجم مع أي قانون كان من قوانين العدالة، ولا مع الإنسانية ولا مع أي دستور من دساتير الحقيقة "[١].

٣- **الأديان الأخرى**: إن الإسلام قد أقر الأديان السماوية الأخرى (اليهودية والمسيحية) وأن رسالة الإسلام جاءت مكملة للأديان السماوية الأخرى، ومن هذا المنطلق نجد النورسى يدعو إلى ضرورة اتفاق المسلمين مع أصحاب الأديان الأخرى في مواجهة المد المادي الإلحادي فيقول" إن أهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الاتفاق الخالص فيما بينهم، بل مدعوون أيضا إلى الاتفاق مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى فيتركوا ما يثير الخلافات والمناقشات وفقا لعدوهم المتعدي، لأن الكفر المطلق يشن هجوما عنيفا"[٢]

ومن هذا المنطلق فإن النورسى ينتقد في أوروبا النزعات المادية والإلحادية، والنزعات القومية المدمرة، ولكن بالمقابل يقبل أوروبا النافعة للبشرية بما استضافت من النصرانية الحقة، وأدت خدمة لحياة الإنسان بما توصلت إليه من صناعات وعلوم تخدم العدل والإنصاف[٣] ومن ثم فإننا نجد النورسى يدعو المسلمين إلى الالتحام مع أصحاب الرسالات السماوية لمواجهة المد الإلحادي، وتلك نظرة تكشف عن روح الانفتاح والتسامح التي يقدمها النورسى في رسائل النور، والتى تؤدى إلى مجابهة العنف فى معظم أشكاله.

---

(١) الملاحق ص ٢٠٣

(٢) الملاحق ص ٢٢٩

(٣) اللمعة السابعة عشر، اللمعات ص ١٧٧

مصادر ومراجع البحث

١- النورسى، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم، دار سوزلر للطباعة والنشر، القاهرة ط٢ ١٩٩٢

٢- النورسى، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم، دار سوزلر للطباعة والنشر، القاهرة ط٢ ١٩٩٣

٣- النورسى، اللمعات، ترجمة إحسان قاسم، دار سوزلر للطباعة والنشر، القاهرة ط٢ ١٩٩٣

٤- النورسى، الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم، دار سوزلر للطباعة والنشر، القاهرة ط٢ ١٩٩٣

٥- النورسى، الملاحق، ترجمة إحسان قاسم، دار سوزلر للطباعة والنشر، القاهرة ط٢ ١٩٩٥

٦ - النورسى، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم، دار سوزلر للطباعة والنشر، القاهرة ط٢ ١٩٩٥

٧ - النورسى، المثنوى العربي النوري، دار سوزلر للطباعة والنشر، القاهرة ط١ ١٩٩٥

٨ - النورسى، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، دار سوزلر للطباعة والنشر، القاهرة ط١ ١٩٩٤

٩- أبو حنيفة النعمان، رسالة الفقه الأبسط، تحقيق محمد زاهد الكوثرى، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة

١٠- أرنست رينان (الإسلام والعلم)، مناظرة رينان والأفغاني، ترجمة مجدي عبد الحافظ، المجلس الأعلى للثقافة رقم٢٠٠٥/٨٢١

١١- صمويل هنتنجتون، صراع الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوة، دار سطور ط٢ ١٩٩٨

١٢- باربراويتمر، الأنماط الثقافية للعنف، ترجمة (ممدوح يوسف عمران)، عدد (٣٣٧) مارس، ٢٠٠٧ ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

١٣- عبد المجيد النجار مقاصد الشريعة الإسلامية بابعاد جديدة، دار الغرب الإسلامى، بيروت،لبنان، ط٢ ٢٠٠٨